الاتحاد السوفياتي

طريقة ليونوف في الادب

بقلم : ايكاترينا ستاريكوفا

* * *

لم يوجد في الادب السوفياتي ، ولن يوجد ، كاتب آخر تمتزج اعماله الادبية امتزاجا محكما بتاريخ مجتمعنا كله خلال خمسين سنة كاملة مثلما امتزجت اعمال ليونيد ليونوف . ان كل عمل من اعماله يرتبط ارتباطا دقيقا بالمراحل الزمنية لتطور التاريخ السوفييتي .فالمجلدات التسعة من مجموعة مؤلفات ليونوف ، زائدة ثلاثة كتب من الكتابة الصحفية ، زائدة المنشورات الدورية القديمة ، هي انعكاس فوتوغرافي لتقدم الثورة عبر خمسين سنة . وماهية كتابته تكمن في هذه الجذور العميقة ، الاهتمام المركز بطريق بلاده ، وفي استجابته الفنية للتحولات الجوهرية العميقة بالتقدم الروحي للثورة، التي ولد معها نثر ليونوف .

كان ليونوف يهتم اهتماما شديدا بالنواحي العويصة التي تحير الانسان والعالم المحيط به . وهذا العالم كما صوره في رواياته ومسرحياته ، عالم واسع لن يصل المرء الى شيء حقيقي منه الا بالتفكير الجدي . ولم يكن ليونوف يتوخى التسلية فيما يكتب بل انه متشدد نحو ابطاله وقرائه على السواء ، يصر على بعث المسؤولية الاجتماعية والانسانية في الانسان المعاصر وربطه بالحقبة التاريخيةالتي فيها يعيش . والواجبات الاخلاقية كانت احدى الخصائص التي ورثها من الادب الروسي الكلاسيكي ، الادب الذي تتلمذ عليه واخذ نفسه بتقاليده منذ محاولاته الادبية الاولى .

وكانت اعمال ليونوف وحياته ، في وقت واحد ، متسمتين بالبحث المتصل عن اسلوب ادبي خاص ، يطابق مفهوم الكاتب الشخصي للعصر ومتطلباته .

وقد حاول ليونوف ، وهو ذو احساس حاد نادر بالصياغة ، بالشخصيات التي يخلقها ان يربط اللون الحي والواقعية الصريحة بالتعميم العريض للطبيعة الفلسفية .وبواسطة تمكنه من اللغة ، من التركيب والحبك في أجود اعماله ، فقد احرز السيادة التي لم تكن في حد ذاتها مصدر فخر للادب السوفييتيوحسب، بل انها ساعدت على رفع مستواه العام .

ولد ليونيد ليونوف في موسكو سنة ١٨٩٩ .

وكان أبوه ، الشاعر الذي تثقف على نفسه ، ينشر الكتب بين الناس . وقد تكرر اضطهاده ، بسبب النزعة الديمقراطية في الكتب التي ينشرها ، من قبل الحكومة القيصرية الى ان نفته سنة ١٩١٥ الى ارخا نجلسك حيث بقي حتى وافاه الاجل .

وقد امضى ليونوف كل طفولته وصباه تقريبا في زاريادبي ــ منطقة التجارة والحرف القديمة ــ في موسكو ، لدى جديه اللذين كانا من التجار الصغار .

وكان اقبال ليونوف على الادب ظاهرة مبكرة . فقد أخذ ، وهو ما بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة وخلال دراسته الثانوية ، بكتابة القصائد . وكان ينظمها بطريقة الشعراء الريفيين اولا ، ثم بطريقة الشعر الرمزي اتباعا للنظام السائد .

ومع ذلك ، فلم تكن هذه الجهود الصبيانية بداية كتابته كمهنة .

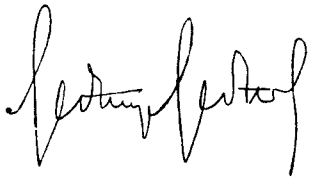

بل ان الثورة والحرب الاهلية والاحتكاك المباشر بالحوادث الكبيرة لهذا القرن ، هي التي بشرت ببزوغ ليونوف الحقيقي في عالم الادب .

وكان ليونوف ، مثل أغلب الكتاب السوفييت من جيله ، قد بدأ حياة مستقلة كمشارك في تلك الاحداث . فأدى الخدمة العسكرية في الجيش الاحمر سنتي ١٩٢٠ ــ ٢١ ، وجاب جنوب روسيا في الفرق العسكرية الحمراء ، وكان له دور في الهجوم على بريكوب..

وكتب خلال سنتي ١٩٢١ ــ ٢٢ عدة قصص قصيرة وطويلة .وكانت هذه بداية مهنته الادبية .

ان أعظم ميزة لاسلوب ليونوف القصصي ، كانت البهجة في الالفاظ وفي اللون ، وقد ظهرت واضحة منذ خطواته الاولى ككاتب . وهذه الميزة جعلته ، في العشرينات من هذا القرن ، واحدا من اكبر الانصار الذين يلفتون النظر لما سمي « النثر المزخرف » .

والحقيقة ، ان القارىء ليستطيع ان يتبين ،حتى في حكايات ليونوف الفنية المصقولة الشبيهة بحكايات الجن وفي قصصه الاولى القصيرة ، وراء الشكل الرمزي الواضح والتحدث عن الخبرات الادبية

الماضية ، يستطيع أن يتبين التطور السريع للمواضيع ، التي أصبحت مركز اهتمامه الرئيسي وظلت تثيره طوال حياته . وهذه المواضيع هي: كرهه لاعداء الفكرات التقدمية في كل المظاهر ، الخارجية والداخلية . ثم مشكلة جوهر الانسانية وتطورها في العصر الحاضر . وثالثها مشكلة المفهوم الاخلاقي لعصرنا هذا .

ان ظهور ، الباجرز ، رواية ليونوف الاولى سنة ١٩٢٤ جعل الكاتب يستحق الشهرة ، اذ سرعان ما عدت بين الاعمال الرائعة المعروفة في النثر السوفييتي الجديد . وقد ادهشت القراء المعاصرين بحقيقتها البسيطة ، برأيها المبكر في الاشياء ، وبأسلوبها الوصفي الاصيل الخاص في الرواية والسرد . ومن هنا كانت لها هذه الاهمية الاساسية في الفن السوفييتي ، وهو لا يزال في فترة تشكله .

وهذه الرواية تصور تصويرا أنيقا انطباعات الكاتب عن الحياة، التضارب العنيف بين القوى المختلفة ينهض قويا بسبب اعداء الفكرات التقدمية الآسنين ، القرى تتمزق بين زمر معادية ، بالثورة وبالحرب الاهلية ، التي محت طريقة الحياة القديمة محوا تاما . وكان ليونوف يشهد ذلك بعيني رأسه ويعرفه معرفة شاملة ، وقد احسه من خلال هذه المعرفة الحقيقية وربط بينه بموهبة مدركة لقدراتها كل الادراك . وهذا ما ضمن للرواية اصالتها واهميتها .

وقد اظهر وصف ليونوف لحياة شخصياته الماضية في زاريادبي اهمية أيديولوجية كبرى . فأكد أن السبب الذي جعل هذه الشخصيات تتصل بثورة الكولاك التاريخية المقضي عليها بالاخفاق كان في جوهرهم المعادي للفكرات التقدمية ، وفي « جذورهم الشوكية» الكامنة في غريزة الملكية الخاصة . فالحاضر يفسر بالماضي ، اذ انه نسيب له ومنه يصدر ، والحياة تقاس بحركة التاريخ التقدمية . وكان ليونوف قد مارس العمل في الريف أيضا ، مارسه كمحقق في فرقة البوليس باسباب الكسل والبطالة ، التي رجعت بالريف الى الوراء .

لقد قال ليونوف صراحة في روايته الاولى : لا عودة الى الحياة القديمة . وان هذا ليبعث الخوف في المدينة المعادية للفكر التقدمي وفي الريف غير المتنور ثقافيا على السواء ، انه تشويه للشعب، وتقهقر محتم رغم الثورة . وان اهمية الموضوع والشمول الواقعي لتصويره يجعل الكاتب ، وهو مخلص لحقيقة الحياة ، قادرا على حصر نفسه في هذه المهمة السلبية فقط .

غير ان كل فنان اصيل مبدع يحس انه ملزم ادبيا بان يجيب ، في عمله الادبي ، عن هذه الاسئلة : ما الشيء الاساسي في حياة اليوم، العصر الحاضر ، في أي اتجاه يكون التقدم ، ما الذي يجتذب المجتمع والفرد ، وما الاخطار والصعوبات التي تعترض الطريق ؟ لقد حاول ليونوف في روايته التالية ، اللص ، سنة ١٩٢٧ ان يبسط بلغة المجاز القصصي ، مفهومه الشخصي للاتجاهات الرئيسية في هذا العصر .

دمتري فيكشين ، المفوض الاحمر السابق ، الذي قاتل في الحرب الاهلية بغيرية وبشجاعة ، لاجل السلطة السوفيتية ، صار لصا في نهاية الحرب . لقد فعل ذلك احتجاجا على تخمة أعداء الفكرات التقدمية . ثم لانه رأى ان لم يعد له مكان في الحياة اليومية خلال سنوات السياسة الاقتصادية الجديدة (ن . ي . ب).

وقد قدر ليونوف شخصيته الرئيسية ـ اللص ، الشخص الذي هوى الى الحضيض معذبا ،قبل كل شيء بوخز ضميره ، بسبب بغضه لعالم التجشع ،عالم الكسب والتكيف مع الظروف . وكان ليونوف ، والحق يقال ، منزعجا لاعتبار ان فيكشين ،وقد وضع نفسه ضد المجتمع كان مذنبا في نظر الناس ونظره هو على السواء . هذه القضية التي طرحت باخلاص يلفت النظر وبعاطفة صادقة ، قضية شعور الفردية بالاثم لم تجد حلا محدودا في الرواية .

وبعد ثلاثين سنة من صدور اللص رجع اليها ليونوف ، واعاد كتابتها من الاساس ، ولكنه ابقى الحبكة الاصلية والشخصيات الرئيسية ، ولم يتغير الا موقف الكاتب وشخصيات الرواية الاخرى من فيشكين . ورغم ان ليونوف ما زال ينظر بعين العطف الى مأساة فيشكين فقد ترك قضية اثمه غير مشكوك فيها : لان فيشكين بسبب انانيته الفردية قد سرق نفسه وسرق الاخرين . وهكذا يعكس التعديل الجديد لرواية اللص تفكير ليونوف الطويل بما هو مشكلة اساسية بالنسبة له : بما هو صلة بين الرغبةالروحية للفرد وبين متطلبات المجتمع .

ثلاث سنوات فقط كانت تفصل بين نشر رواية اللص وبين ظهور رواية ليونوف ، الاحمق ، أوائل سنة ١٩٣٠ ، ولكن يبدو كأن جيلا كاملا يفصل بين الروايتين . اختلاف في الموضوع اختلاف في الوصف وفي رؤية العالم .وقد عدت « الاحمق » بحق بين اول وأجود ، أعمال مشروع السنوات الخمس الاولى الادبية ،عن مشروع السنوات الخمس الاولى . وهذه الرواية لا تفتح صفحة جديدة في اعمال ليونوف وحسب بل أنها دليل مدهش على ولادة شكل ادبي واسلوب جديد في النثر السوفييتي جملة .

تقدم ضخم بالسيطرة على الطبيعة في اقليم ناء ، بعيد عن المدنية وتحول في حياة الشعب ، بدأ بقرار من البولشفيك . لقد انهت هذه التحولات العلاقات المعهودة بين الناس . وتغيرت حياة الاقليم الاقتصادية بحافز جبار من الصراع السياسي .

هذه هي « الخطة » النموذجية التي كانت لكثير من روايات الثلاثينات الاولى ، الروايات التي كتبت كترنيمة تفاؤل لتمجيد العمل الابداعي للانسان ، وهو يبني الاشتراكية . ولكن رغم ان الموضوع مشترك بين الكتاب جميعا فقد كانت كل رواية من روايات هذه الفترة تتعارض مع الاخرى . وذلك نتيجة تقصي كل كاتب لمعنى الوطنية ، وخوض الميادين الفلسفية ، الاخلاقية والجمالية . نتيجة لحل المشاكل الخاصة التي تكفل بحلها كل كاتب مستقلا عن الاخر كل الاستقلال .

روسيا القديمة وروسيا الاشتراكية الجديدة التي انهضت نفسها لتنجز العمل الفذ بتحويل حياتها . هذا التغاير ، مدعوما بكل الوسائل الادبية لاديب متمكن ، هو الذي يحدد أسلوب رواية الاحمق ، بالاضافة الى قوة المناظر الطبيعية ، وهندستها المشرقة ، ومشاهد الحياة اليومية الصرفة بكل ما فيها وتحديد النماذج الاجتماعية تحديدا دقيقا .

ان حلم الشخصية الرئيسية ، يوفادييف الشيوعي ، بسعادة اجيال المستقبل ، هو السمة التي يكتشفها ليونوف في الحياة الثورية ، والصراع للمستقبل هو الذي يعطي عمله ميزة جديدة . ويوفادييف نفسه ،مع كل مزاياه كمنتصر بناء ومعلم ، ليس هو الشخص النموذجي في نظر ليونوف ،بل هو « رائد » فقط للانسان المتلائم مع المستقبل. والادب السوفييتي في اول الثلاثينات ،رغم انه كان يغني رومانتيكيا بتمجيد العصر والمعاصرين ، كان صارما جدا مع هؤلاء المعاصرين كأفراد خاصة ، كما كان يحلم بالمستقبل المشرق فوصف قبل كل شيء عملية صوغ الانسان في المجتمع الجديد .

ومن الان فصاعدا ،فمهما كانت المهمات السيكولوجية التي يتعرض لها ليونوف معقدة ، ومهما كان المكان الذي افسحه في كتبه للاشخاص المشلولين نفسيا فان المقياس الرئيسي لاهمية الفرد يظل الجواب على سؤال : اي تأثير سيفرض نفسه على أجيال المستقبل ، على النشاط الابداعي للجنس البشري ؟

وابتداء بالاحمق ، فان العمل الابداعي يظهر في روايات ليونوف كقيمة اخلاقية سامية . فهذه الطبقة الجديدة قد اصبحت اساسية بالنسبة لمفهومه الشخصي للانسانية .

ونشر سنة ١٩٣٢ روايته ، سكوتاريفسكي . لقد كان اهتمام ليونوف بمشاكل التطور السياسي والروحي لاهل الفكر القديم خلال سنوات الثورة عن فهم كامل . فقد رجع الى هذا الموضوع لا لانه

كان نتيجة مشاهداته وتفكيره في أعظم التحولات أهمية في الحياة وحسب ، بل لانه كان ، والى مدى بعيد ، نتيجة لتجاربه الخاصة الابداعية والاجتماعية والروحية ، ولانه نوع من الاعترافات أيضا .

وموضوع رواية ، سكوتاريفسكي ، عالم شيخ ، رفض تدريجيا، تحت تأثير الحياة ، ركاما من الافكار المسبقة ، وحرر نفسه من الفردية والعزلة الابداعية ، ليسلك طريق التعاون الفعال مع السلطة السوفيتية . هذا الموضوع يتفق مع ما تساءل عنه الكاتب طويلا في موقفه الادبي : التناقضات النفسية المعقدة لانسان افرغ عقله في اطار الفردية وفي وجهة نظر خاصة ، قد وجد حلا له في الوضع التاريخي الجديد .

ان مهمة الكاتب كعالم نفسي تجعله يرى ان كل ما كان حسنا لدى اهل الفكر القديم لا يمكن ان يكون حائلا دون كسبهم الى جانب الثورة ، لان مصالح ذلك القطاع من اهل الفكر القديم تتفق جوهريا مع الاهداف البناءة للاشتراكية : « العالم التقدمي الحقيقي لا يكمن ان يكون رجعيا بسبب تكوينه الاصلي » ، هذا ما يقوله شيريموف الشاب ، مساعد سكوتاريفسكي ،وهو شيوعي وعامل سابقا .

واحكام ليونوف الاخلاقية المباشرة ، وتهكمه ـ ميزته البارزة في تحليله النفسي ـ وكذلك براعته في الهجاء هي خصائصه الرئيسية .

يضحك ليونوف مرحا من زوجة البروفسور سكوتاريفسكي ، وهي امراة كسلى ، يستبد بها حبها للاثار الفنية النفيسة انها عدوة عفنة للفكر التقدمي ، ولكنها لم تعد في رأي الكاتب مخيفة . اذ يمكن التخلص من سيطرتها ـ كما تخلص منها سكوتاريفسكي نهائيا ذات يوم رائع .

ولكن ليونوف يستمر بالتحذير في روايته من الارتباط الداخلي العميق بين عداوة الفكر التقدمي في الحياة اليومية وبين العداوة الايديولوجية السياسية الفعالة .

ستروف ، العبد الطفيلي ، لا يزال يزور زوجة سكوتاريفسكي . انه صفيق ممون بالقيم المزيفة ،كذاب وملهم . كما انه بقية هزيلة للطبقات والاهواء التي تركت مسرح الحياة . وستروف رجل مستذاب، بمثل الوجه الساخر لمهرج في مسرحية هزلية حينا ، واحيانا يمثل نظرة شزراء خائفة لشريك في حركة سرية للتخريب . انه يربط بين بيئة الفرديين المتمسكين بحقوقهم وبين غريزة اصحاب الملكية الخاصة .

ان التزام سكوتاريفسكي جانب الشعب ، التأييد الذي يلقاه ، وتحرره من العزلة ـ هذه هي الخطوط التي يسعى ليونوف الى حلها في مشكلة الابداع الفردي في شكلها العام .

وروايات ليونوف ، كما عرضها ، ترتبط برباط داخلي عميق. انها كحلقات السلسلة أخذ بعضها برقاب بعض . واذا ما فحصت اعماله مجتمعة حسب ترتيبها الزمني يظهر لك ، رغم وحدتها الفنية والى حد ما ،رغم استقلال كل عمل عن آخر ، ان كل واحد منها جدول مميز من افكار الكاتب ، وهذا الجدول يعكس نفس الديالكتيك للتلاقي بين عقل ليونوف المحقق وبين العالم الخارجي .

وكانت الدراما ميدانا خاصا وهاما لكتابة ليونوف . ولكن ما كتبه فيها لا يزيد عن اثنتي عشرة مسرحية بعضها معدل من كتابته النثرية ، وبعضها الاخر ، رغم انه يرتبط الى حد بعيد بنثر ليونوف من حيث ميزات التضارب الاساسية فهو في الموضوع والاسلوب مستقل تماما . ان التركيز الكلي على الالوان وخصام الشخصيات العنيف واقعي ، ولكن ليرفع دائما من قيمة الرموز، ليسمو بالمحيط والانفعالات . واستعماله الصور البلاغية المعروفة في مسرح تشيكوف ـ والتلاحم العضوي لجميع العناصر المتغايرة ،كل هذا جعل مسرحيات ليونوف ظاهرة رائعة في الدراما الروسية المعاصرة الى حد يستطيع الشخص فيه ان يتحدث عن « دراما الشاعر المفكر» الخاصة كما سماها أحد الكتاب .

وقد اعتبر ليونوف امام القراء والمشاهدين في سنوات ما قبل الحرب ، كاتبا مسرحيا بصورة رئيسية .

وخلال سنوات الحرب الضارية رأى ليونوف ، مثل سائر الكتاب السوفييت الاخرين ، ضرورة التعبئة لمقاتلة الفاشية .

ومن الطبيعي ان يكون في ذلك الوقت ،قسم كبير من كتابته صحفيا . وهكذا كانت مقالات ليونوف تتسم بالفهم العميق والاحساس الحاد بماهية النزاع بين عالمين بين اخلاقيتين وبين تاريخين . وكانت حساسية ليونوف المتزايدة بتلك الآلام مجتمعة تدفعه للاستمرار ، وهو شديد الاسى ، بتذكير الشعب بجراح بلادهم وبالويلات التي نزلت بها . والكاتب لا يستثني نفسه ولا قراءة عندما يصور ، بمهارته القوية الكاملة وخياله الجريء ، العذاب الهمجي الذي تعرض له الاطفال والنساء والشبان الذين تركوا المدارس . ان ليونوف الذي شك ذات مرة بقدرة المجتمع الانساني والطبيعة البشرية على أن تتحسن لم ينكر ، في الاوقات العصيبة التي مرت بالمدنية الحديثة ،ايمانه المكتسب بقوة العقل والتقدم والانسانية السامية بالاشتراكية . وهذا هو السبب الذي جعل مقالاته مشربة بمثل هذه الروح الوطنية الشامخة .

وقد أصبحت مسرحية ليونوف الغزو ، التي اكملت سنة ١٩٤٢ اعظم اعماله شعبية في سنوات الحرب . فمثلت على عدة مسارح في الاتحاد السوفييتي وخارجه ، كما اخرجت فيلما سينمائيا ،واخذت عنها أوبريت .

فيودور تالانوف يعود من اطراف بعيدة الى بلدته ومشكلة فاجعة تثقل تفكيره : كيف يستطيع ان يستعيد « حقه في بلاده » ويقيم علاقات طبيعية مع العالم والناس . هذه المشكلة هي جوهر المسرحية ومنها تنطلق الوقائع . ان الاستعداد لدفع اي ثمن ، في رأي ليونوف لهذا الرباط الدموي الذي يربط الانسان ببلاده ، هو الصفة الرسمية للوطنية الحقيقية ، كما انه ، بناء على ذلك قيمته الاخلاقية .ولهذا ضحى فيودور تالانوف « عن وعي » بحياته ، حياته التي اكتسب مدلولها في الوقت القريب .

اننا نعيش في عهد النصر الكبير الذي لم يعرفه العالم فيما قبل انها أعظم مواجهة مخيفة في التاريخ ، انفاق في الجهد لم يسبق الى مثله ارتفاع شامل في عدد الضحايا لانه لم يعد يوجد من متفرجين في هذه الحرب . ومرة ثانية تصادمت فكرتان على قطبين متقابلين ـ اعظم فكرة تقدمية شريفة مع فكرة قوى وحشية مظلمة ـ في معركة واسعة . ومرة اخرى يتغلب النور على الظلام . واننا لنذكر ، بهذه المناسبة ان جميع الحوادث المشابهة قد تركت ،بصرف النظر عن الدمار وكتل القتلى آثارا هامة في النفس البشرية المتحررة . كانت الاحياء المتلاصقة تحترق باهلها ، ولكن ارواحهم ستظل نجوما تشع الى قرون اذا ما خلفهم المجتمع وراءه بحركته التقدمية . « هذا ما يوضح كيف كان ليونوف سنة ١٩٤٧ يعبر بافكاره عن مهمة الادب السوفييتي المتحدي اثر نهاية الحرب مع الفاشية .

والغابة الروسية ، الرواية التي اكملها ليونوف سنة ١٩٥٣ كانت جميعة انجازاته الادبية وبحثه عبر العقدين السابقين ، كما كانت موسوعة لوعيه الفلسفي والاخلاقي وحصيلة بحثه الابداعي خلال عدة سنوات . في هذه الرواية يلتفت الكاتب من قمة الحاضر البطولية ، الى نصف القرن الاخير الذي عاشته بلاده بكل قواها الابداعية بجهد لا يكاد يصدق . وقد أعطى فيها التفسيرات الشاملة لمفهومه الاخلاقي والجمالي

لقد جهد ليونوف بشرح مفهومه للانسان الجديد على المستوى الاخلاقي والفلسفي متتبعا الصراع لاجل اخلاق المستقبل في ضمير الشعب . ومن هنا نجد مناخ العقيدة والاخلاص يتخللان الرواية التي جعل ليونوف شخصياته فيها يقدمون ، باسلوب مشرق وبامثال

ذات مغزى ، وجهة نظرهم في السعادة في الوطنيـة الحقيقية والزيفة وفي واجب الانسان تجاه الاخريـن وتجاه نفسه .

والحبكـة في الغابة الروسية ، وطريقـة التركيب ، وتطـور الشخصيات نفسها ، كل هـذا تابع للحركـة التي تتحقق فيها وجهة نظـر الكاتب. وتابع لافكاره في المغزى التاريخي للحرب والنصر . في روايـة من هـذا النوع يحتل شخص الكاتب ، بالشرح المباشر لقناعاته واعتقاده ، مكانا كبيرا . وهذا ما زاد ، بالتناوب من قوة بناء العمـل العام ،كمـا زاد من الصور الشعرية ذات المغزى الشامل ، التيلا يخلو منهـامؤلف من مؤلفاته ،والتي تكثف بعبارات مجازية جوهر الروايـة او المسرحية . ولكن دور المجاز والاستعارة يزداد في الغابة الروسيـة زيادة لا حد لهـا ، اذ تستغرق مع التضمينات الفلسفية والغنائيةالرواية كلهـا . وليست الغابة في روايـة ليونوف مجرد مكـان وجو لنشـاط الشخصيات وحسب ،بل هي كذلك خلاصـة جمال الوطن الطبيعـي ، وتجسيد لثراء الشعب الشامل ، ورمز فريـد للتقاليد الوطنية .

لقـد كان فيخاروف المختص بالغابات مهمـا جدا للكاتب .فمهنته هذه اصبحت العامل الاقوى في الروايـة لبث مفهوم الكاتب الاخلاقي والاجتمـاعي . ووصل هذا العامل الى القوة نتيجـة لتعقد العمـل وللتركيب المنظـم بمهارة ، المهارة التي يصور فيهـا الكاتب في عقـدة واحدة ، نهضة البلاد السريعـة من الفلاح الفقير في الماضي الىالحقبة التاريخيـة التي تحققت فيهـا احلام الانسان البراقة . ثم ربط قيمة الانسان ككادح وكمواطـن بجمال النواحي الاخلاقية .

وتصل بعدئذ صورة جراتسيانسكي الى قلب البؤرة فتندمج ميزات موهبة ليونوف المتعددة ، واحيانـا المتناقضة في تناسق كلي يمتـاز بالدقـة السيكولوجيـة والعبارات الرمزيـة العامة . كمـا يتضح ، الى جانب الجراة في التشهير ، صدق مواقف الحياة اليومية فـي الحبكة . وجراتسيانسكي،هـو مواجهـة الكاتب الجديدة مع اعدائـه القدمـاء : فرديـة المفكر وتعصب اعداء الفكر التقدمي . وكانت هـذه المواجهـة قد قدمت في وقت سابق في اعمال ليونوف كعنصرينمستقلين ثم اخذت المسافـة تزداد بينهمـا منذ مطلع الثلاثينات ازديادا مطـردا الـى ان ظهرتـا للعيـان في جراتسانسكي صورة غريبة الشكل فـي تعبيرهـا التناقض وهي في نفس الوقت ذاته اقناع جوهري .

وفي السنوات العشر الاخيرة رجع ليونوف اكثر من مرة الـى اعماله السابقـة واعاد تخطيط حبكها . وقـد بدأ هذه العملية الهامة سنـة ١٩٥٦ باعداد الطبعة الجديدة لرواية ، اللص . واخذ به ولكن بتعديل اقل في الجوهر ، اعماله الاخرى ومنهـا الاعمال التي لم يتـح لهـا ان تنشر حتـى ذلك الحين كروايـة افجينيا افانوفنـا القصيرة التي كتبهـا سنـة ١٩٣٨ ،فاعـاد كتابتها ونشرها سنة ١٩٦٣ .

وهي قصـة امراة روسيـة غير محظوظة تركت ، مثل كثيريـن غيرهـا بلادها خلال الثورة . تركتهـا في وطيس الكراهية والخوف ، واذعنت تلقائيا ، لتآلف الظروف دون ان تكـون قادرة على تقديـر العواقب البعيدة لذلك القرار الذي اتخذته ، وهي مضطربة الفكـر . ومرت السنون فاحرزت افجينيا افانوفنا ،بعد مقاساة اللجوء السياسي رفاهـا ماديا ولكنهـا لم تستطع ،مع ذلك ، ان تكيف نفسها مع منـاخ الحيـاة الخارجية . لقد ابتليت بالحنين الابدي الى الوطن .وعاشت ما عاشت منعزلة وغامضة ، ثم ماتت فيراي ليونوف ، مريضة بحبها لروسيـا .

وفهمت هذه الروايـة في سنـة ١٩٦٣ كبرهـان على المشاركة التي يؤكد ليونوف انهـا مدلول اخلاقي نبيـل .

ان ليونيد ليونوف الان في السبعين . واعتقد اننا كلمـا دخلنـا جو كتبـه سندهش بتنوع موهبته واطرادهـا وكتبه التي تغري فكـر القارىء النشيط وقلبـه ، وتفتح لـه مـدى واسعـا وعريضا مـن الفكـر والشعـور .

عن مجلة « الادب السوفييتي »

ترجمة : يوسف احمد المحمـود

هكذا انتصر «الفيتكونغ»

بقلم

ريمون نساطي

« فقد « الفيتكونغ » منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا مـا يقرب مـن نصف مليون مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذيـن تلفت اعصابهم وانهال عليهم اليأس .. ورغـم ذلـك ، صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم أكبر ، وبقدرة دفاعية أقوى حتى استطاعت أن توجه ضرباتها المتتالية في قلب العاصمة سايغون التي تنتظر الآن هجوما كـاسحا عليها ...

« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومـن جانب الولايـات المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .

كتاب نحتاج اليه الآن ، لانـه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاستـرداد ارضنا المسلوبة ..

٢٥٠ ق٠ ل

صدر حديثا